﴿قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ ١١٦﴾ [الأعراف: 116]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

كانَ في جوابِ موسى إيّاهُم بقولِه: ﴿أَلۡقُواْۖ﴾ استخفافٌ بما سيلقونَهُ؛ لأنّه عبّرَ عنهُ بصيغةِ العمومِ والاستخفافِ بأمرِهم، إذ مكّنَهُم من مُباداةِ إظهارِ تَخييلاتِهم وسِحرِهم؛ لأنّ اللّه قوّى نفسَ موسى بذلك الجَوابِ لِتكونَ غَلَبَتُهُ عَلَيهِم[1].

الـرّبْـطُ بين مُخايرةِ السَّحَرةِ لموسَى، وفطْنتِه لِتقديمِه لهم في الإلقاءِ، ثقةً بنَصْرِ الله

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ﴾: الرّاءُ والهاءُ والباءُ أصلان: أحدُهما يدُلُّ على خَوفٍ[2]، وأرهبَ الرّجلَ ورَهَّبَه: فزَّعَهُ[3]، وهو طولُ الخَوفِ، واستمرارُهُ[4]. والمَخافَةُ فيها مع تَحَرُّزٍ واضطرابٍ. ومعنى ﴿وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ﴾؛ أي: حملوهُم على أن يَرْهبوا؛ أي: أخافوهُم وأفزعوهُم[5] مدّةً طويلةً.

❁ المعنى الإجْماليُّ:

المواجَهةُ المُبَاشَرةُ مـع مـوسَى، بسِحْرِ العيونِ، واسْـتِرهـاب الـنّـفـوسِ بالسِّحرِ الملعونِ

قالَ موسى عليه السلام للسَّحرَة: ألقوا ما أنتُم مُلقونَ، فألقَتِ السَّحرَةُ ما معَهُم مِنَ العصيِّ والحبالِ الغلاظِ، فسَحروا أعينَ النّاسِ، وصَرَفوها عَن إدراكِ حقيقةِ ما فعَلوا مِنَ التّمويهِ، والتّخييلِ، وخيَّلوا إلى أعينِهم بما أحدَثوا مِنَ الخدعِ أنّها تَسعَى، واسترهبوهُم حتّى خافوا، ظنًّا منهُم أنّها حيّاتٌ؛ إذ كانَ تخييلُهُم، وخداعُهُم سِحرًا عظيمًا[6].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/47.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رهب).
(3) ابن سيده، المحكم: (رهب).
(4) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 242.
(5) الرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (رهب).
(6) ابن جرير، جامع البيان: 13/27.

وتهدي الآيةُ الكريمةُ إلى: بيانِ كيفَ تتجلّى أصدقُ معاني الثّقةِ باللّه، والتّسليمِ لحكمِهِ، وتدبيرِهِ، والرّكونِ إلى تقديرِهِ. وتُرشِدُ إلى تأثيرِ السِّحرِ في الأعينِ، والقلوبِ، والأبدانِ بإذنِ اللّهِ تعالى،[1] وأنَّ السِّحرَ لا يغيِّرُ حقائقَ، فلا يجعلُ العصا والحبالَ حيّاتٍ، ولكنّهُ يُؤثِّرُ في الرّائي في نفسِهِ[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

تَوجِيهُ العُمومِ في خِطابِ مُوسَى عليه السلام:

﴿قَالَ أَلْقُوا۟﴾ تعبيرُ موسى عليه السلام عنِ الإلقاءِ بصيغةِ العُمومِ بحذفِ المفعولِ تسويغٌ لهُم لما تراغبوا فيهِ مِن بدءِ الإلقاءِ استخفافًا بما سيُلقونَهُ، وبأمرِهِم، وازدراءً لشأنِهِم، وقِلّةَ مُبالاةٍ بِهِم، وثقةً بما كانَ بصددِهِ مِنَ التّأييدِ السّماويِّ، وأنّ المُعجزةَ لن يَغلِبَها سِحرٌ أبدًا[3]، وليُظهِرَ اللّهُ أمرَ نبوَّةِ موسى قوّى نفسَهُ ويقينَهُ، ووَثَقَ بالحَقِّ؛ فأعطاهُمُ التّقدُّمَ، فنَشِطوا وسُرّوا حتّى أظهَرَ اللّهُ الحقَّ وأبطَلَ سَعيَهُم[4]، وكانَ موسى عليه السلام نصحَهُم بعدمِ الدّخولِ معهُ في مَعرَكةٍ هُمُ الخاسرونَ فيها قَطعًا، فقال: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾﴾ [طه: 61].

التّعبيرُ بصِيغةِ العُمومِ، تَسويغٌ للمُعجزةِ، وتأثيرٌ في نفوسِ المُشاهِدينَ

أو هو تهديدٌ؛ أي: ابتدِئوا بالإلقاءِ، فسَتَرَونَ ما يَحِلُّ بكُم مِنَ الافتِضاحِ[5]. والحِكمةُ الإلهيّةُ في هذا زيادةُ المُعجزةِ ظهورًا؛ ليرى النّاسُ صنيعَهُم ويتأمَّلوهُ، فإذا فرَغَ من بهرجِهم، جاءَهُم الحقُّ الواضحُ الجليُّ بعدَ تَطلُّبٍ لهُ والانتِظارِ مِنهُم لِمَجيئِهِ، فيَكون أوقَعَ في النّفوسِ[6].

(1) اللاّحم، عون الرّحمن: 9/245.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 6/2924.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/140، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 7/259، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/47.
(4) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/438.
(5) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 7/259.
(6) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/456.

دَلالةُ الإيجازِ بالحذْفِ، في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ﴾:

السِّياقُ مُؤْذِنٌ بالمحذوفِ، وحذْفِ مَفعولِ الماضي لظُهورِهِ

وقولُهُ: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ﴾ عُطِفَ على مَحذوفٍ للإيجازِ، والتّقديرُ: فألقَوْا، فلمّا ألقَوْا؛ لأنّ قولَهُ: ﴿قَالَ أَلْقُواْ﴾ يُؤْذِنُ بهذا المَحذوفِ، وحُذِفَ مَفعولُ الفعلِ الماضي المَبنيِّ على الضّمِّ المُقدَّرِ على الألفِ المَحذوفةِ لالتقاءِ السّاكنين: ﴿أَلْقَوْاْ﴾ لظهورِهِ؛ أي: ألقَوا آلاتِ سِحرِهِم، والفاءُ عاطفةٌ على هذا المَحذوفِ و﴿فَلَمَّآ﴾ اسمُ شرطٍ غيرُ جازمٍ[1].

بَلاغةُ التَّعْبيرِ بالمَجازِ:

في المَجازِ قَصْدٌ إلى إظهارِ حقيقةِ السِّحْرِ

في قولِهِ: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ نَصٌّ في أنّ لَهُم فِعلًا ما زائدًا على ما يُحَدِثونَهُ مِنَ التَّزييفِ والآثارِ في العصا وسائرِ الأجسامِ الّتي يَصرِفونَ فيها صِناعَتَهم[2]؛ أي: خَيَّلوا إلى الأبصارِ أنّ ما فعَلوهُ لهُ حَقيقةٌ في الخارجِ، والحقُّ أنّه لا حقيقةَ له، ولم يكنْ إلّا مُجرَّدَ صَنعةٍ وخَيالٍ[3]. فجَعَلوها مُتأثِّرةً حيلةً بالسِّحرِ بما ألقوا مِنَ التّخييلاتِ والشّعوذةِ. وتَعديةُ فِعلِ ﴿سَحَرُوٓاْ﴾ إلى ﴿أَعْيُنَ﴾ مَجازٌ عَقليٌّ؛ لأنّ الأعيُنَ آلَةُ إيصالِ التّخييلاتِ إلى الإدراكِ، وهُم إنّما سَحَروا العُقولَ، ولِذلكَ لو قيلَ: سَحَروا النّاسَ لأفادَ ذَلِكَ، ولَكِن تَفوتُ نُكتةُ التّنبيهِ على أنّ السِّحرَ إنّما هوَ تَخَيُّلاتٌ مَرئيَّةٌ[4]، وفيهِ أنّ تأثيرَ سِحرِهِم لم يتعدَّ عيونَ الحاضِرينَ.

نُكتةُ ائتلافِ الجَمْعِ، والتّعريفِ بأل الجِنْسيّةِ في لفْظِ ﴿ٱلنَّاسِ﴾:

شُمولُ تأثيرِ السِّحْرِ جميعَ المُحْتَشِدينَ في المَجْمَعِ

﴿أَعْيُنَ﴾ جَمعُ قِلّةٍ للعينِ أُريدَ به الكثرةُ؛ لإضافتِهِ إلى ﴿ٱلنَّاسِ﴾ المُعرَّفةِ بـ(أل) الجنسيّةِ للاستغراقِ العُرفيِّ؛ أي: جميع النّاسِ المُحتشِدينَ هناك[5].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/48.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/438.
(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/456.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/48.
(5) المحلّي والسّيوطيّ، تفسير الجلالين، ص: 587.

بَلاغةُ صِيغةِ الاسْتِفعالِ، في الفعْلِ: ﴿وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾:

التّصويرُ البَديعُ في تأكيدِ النُّزوعِ، نـحـوَ شِـدَّةِ الـسَّـعـيِّ إلى التّأثيرِ

﴿وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ أرهبوهم إرهابًا شديدًا كأنّهُم استدعَوْا رهبتَهُم بالحيلةِ الّتي هي السِّحرُ العظيمُ[1]، فالسّينُ والتّاءُ في ﴿وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ للتّأكيدِ، وأصلُ الاسترهابِ مُحاولةُ الإرهابِ وطَلَبُ وقوعِهِ بأسبابِهِ، والتّعبيرُ به مُصوِّرٌ بليغٌ، فهو يوحي بأنّهم استجاشوا وجدانَ النّاس قَسرًا، وساقوهم سَوقًا بوسائلَ مُصطنَعَةٍ لا تَستنِدُ إلى واقعٍ سَليم[2]، وأوجدوا رهبتَهُم إيجادَ راغبٍ فيها طالبٍ لها غايةَ الطّلبِ، ولمّا قيلَ ذلكَ كانَ ربّما ظنَّ أنّهُم خافوا ممّا لا يُخافُ من مثلِهِ، فقالَ تعالى مُبيّنًا أنّهُم مَعذورونَ في خوفِهِم: ﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾[3]، والمجيءُ يُقالُ اعتبارًا بتحقُّقِ الحصولِ.

عِلّةُ تَنْكيرِ السِّحْرِ، في قوله تعالى: ﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾:

هَوْلُ السِّحْرِ في النّظَرِ، وتنوّعُ أدَواتِهِ، أدْعَى للأثَرِ

و(الباء) للتّعديةِ، وتنكيرُ (سِحْرٍ) يدُلُّ على أنّ السِّحرَ كانَ مَهولًا في نظرِ المُشاهِدينَ، وأنّهُ أثارَ خوفَهُم ودهشتَهُم، فكأنّهُم لم يروا مثلَهُ من قبلُ، ولِذلكَ لم يقُلِ اللّهُ: (وجاؤوا بالسِّحرِ)، أو (وجاؤوا بسِحرِهِم)، ولتنوُّعِ أدواتِهِ، وآلاتِهِ من حبالٍ، وأخشابٍ، وعصيٍّ، وغيرِها، فعمومُهُ أدعى للتّأثيرِ والرّهبةِ.

دَلالةُ وصْفِ السِّحْرِ بالعَظَمةِ:

تـعـظـيـمُ شـأنِ سِحرِهِم، وقُوّةِ تأثيرِهِ

وصَفَ السِّحرَ بـ ﴿عَظِيمٍ﴾؛ وهو الكبيرُ المظْهَرُ الضَّخْمُ في فنِّهِ بصيغةِ الصّفةِ المُشبّهةِ الّتي تفيدُ المبالغةَ؛ لقوّةِ ما خُيِّلَ في أعيُنِ النّاسِ من فنونِ السِّحرِ وألاعيبِهِ، أو لكثرةِ آلاتِهِ، أو لما ظهرَ من تأثيرِهِ في الأعضاءِ الظّاهرةِ الّتي هيَ الأعيُنُ بما لَحِقَها من تخييلِ العِصيِّ والحبالِ حَيّاتٍ، وفي الأعضاءِ الباطِنَةِ الّتي هي العقولُ

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/140.
(2) طنطاويّ، الوسيط: 5/349.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 3/82.

والقلوبُ بما لَحِقَها مِنَ الفَزَعِ والخَوفِ، ولمّا كانَتِ الرَّهبَةُ ناشِئَةً عَن رُؤيَةِ الأعيُنِ تَأخَّرَتِ الجُملةُ الدّالّةُ عَلَيها[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(الرَّهبُ)، و(الخوفُ)، و(الرُّعبُ)، و(الهَلَعُ):

إيـثـارُ لـفـظِ (الـرَّهَـبِ)، بـاعـتـبـارِ أنّـه الخوفُ والفزعُ، المتّسِمُ بالطُّولِ والاستِمرارِ

الخوفُ: أصلٌ واحدٌ يدُلُّ على الذُّعرِ والفَزَعِ. وهو توقُّعُ مَكروهٍ عن أمارةٍ مَظنونةٍ، أو مَعلومةٍ، ويضادُّ الخوفُ الأمنَ، ويُستعمَلُ ذلك في الأمورِ الدّنيويّةِ والأخرويّةِ[2]. والفزعُ مُفاجأةُ الخوفِ عندَ هجومِ غارةٍ، أو صوتِ هَدَّةٍ، وما أشبهَ ذلك، وهوَ انزعاجُ القلبِ بتوقُّعِ مَكروهٍ عاجلٍ[3]، أو انقباضٌ ونِفارٌ يعتري الإنسانَ مِنَ الشّيءِ المُخيفِ[4]. والهَلوعُ: الَّذي يفزَعُ ويجزَعُ مَنَ الشَّرِّ[5]. والهَلَعُ، والهُلوعُ أسوأُ الجزعِ على ما فسَّرَهُ اللّهُ تعالى في قولِهِ: ﴿*إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ٢١﴾ [المعارج: 19 - 21]، ولا يُسمَّى المرءُ هَلوعًا حتّى تجمعَ فيه هذه الخصال[6].

أمّا الرَّهَبُ فهو الخوفُ والفزعُ[7]، لكنّهُ خوفٌ مُتّسِمٌ بالطّولِ والاستمرارِ، ولِذلكَ يُقالُ للرّاهبِ راهبٌ؛ لأنّهُ يديمُ الخوفَ[8]، والمَخافة فيه مع تَحَرُّزٍ واضطرابٍ[9].

وبذا تكونُ اللّفظةُ أكثرَ انسجامًا مع سياقِ الآيةِ الكريمةِ، والأنسبَ مِن بين شبيهاتِها في الدّلالةِ على معناها، فمعنى ﴿وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ﴾: حملوهُم على أنْ يَرْهبوا؛ أي: أخافوهُم خوفًا شديدًا، وأفزعوهُم مُدّةً طويلةً لكثرةِ السَّحرةِ المُشتركينَ في المُنازَلةِ، وكثرةِ ما ألقَوا مِن عِصيٍّ، وغيرِها، ولذلك وُصِفَ سِحرُهُم بأنّه عظيمٌ.

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/361.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (خوف).
(3) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 242.
(4) الرّاغب، المفردات: (فزع).
(5) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (هلع).
(6) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 242.
(7) ابن سيده، المحكم: (رهب).
(8) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 242.
(9) الرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (رهب).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 14 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-10-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 14 : المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-10-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0402725 بتاريخ 2023/12/30م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»